٣. الصبر

قال الله تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

[البقرة:١٥٣] .

صدق الله العظيم

العالم :-

معني الصبر : حبس النفس عن الجزع فالصبر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع وقيل أن للصبر معان ثلاثة : " المنع ، والشدة ، والضم " .

قال الله تعالى :-

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ . [النحل:١٢٧] .

قال تعالى:-

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ [الأنعام:٣٤] .

وبذلك يبين الله تعالى أن الصبر من أخلاق الرسل ويوضح أيضا إن الصابرين هم الذين ينتفعون بالآيات ويدركون العبر حيث قال تعالى:-

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الشورى: ٣٢_٣٣] .

وتوضح أيضا الآيات أن الصبر من أسباب الفلاح :-

فقال تعالى:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

[آل عمران:٢٠٠]

ولكم ما رأيتم موضحين تعريفات أخري للصبر :-

العضو الأول :-

لقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة للصبر منها :- (تجرع المرارة من غير تعبس).

العضو الثاني :-

وتعني : (الوقوف مع البلاء بحسن الأدب) .

العضو الثالث :-

وتعني : (الثبات علي أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة) .

العضو الرابع :-

وتعني عدم الشكوى .

القاضي :

إن باعث الهوى قد يدفع الإنسان إلي التكاسل عن أداء الطاعات أو إلي فعل المنهيات أو إلي الضجر والجزع عند الابتلاء فيقاومه باعث الدين فالصبر هو حمل النفس علي أداء الطاعات وإجتذاب المنهيات وتقبل البلاء برضا وتسليم وصفة (الصبور) من أسماء الله الحسني وهو الذي لا تحمله العجلة علي المسارعة إلي الفعل قبل أوانه وفي الحديث : " ليس أحد أصبر علي أذي سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم " [رواه البخاري] .

ولكم في الحبيب (محمد) ﷺ: قدوة حسنة في صبره عليه الصلاة تذكرون ما علمتم عن الحبيب (ﷺ) .

العضو الأول :-

لقد صبر النبي ﷺ في المعارك الحربية التي دخلها مع أعداء الإسلام حتى كان مُضْرب الأمثال في هذه الغزوات ولن يَنْس التاريخ موقفه في غزوة حنين وصبره فيها .

العضو الثاني :-

ولقد صبر ﷺ علي الحرب الكلامية التي وجهها إليه المشركون بمجرد إخبارهم ببعثته وذلك ليصرفوا الناس عن إتباعه فرموه بالكذب والكهانة والجنون والشعر والسحر فصبر لذلك كله .

العضو الثالث :-

وصبر عليه الصلاة والسلام علي آلام المرض ، قالت عائشة : " ما رأيت رجلاً اشتد عليه الوجع من رسول الله ﷺ " [أخرجه مسلم] .

وصبر ﷺ علي أذي بعض أصحابه كما في حادث الإفك وكما روي البخاري عن عبد الله قال : قسم النبي ﷺ قسمه كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قلت : أما لا قولت للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فاردته فشق ذلك علي النبي وتغير وجهه وغضب حتى وردت أني لم أكن أخبرته ثم قال : " قد أوذي موسي بأكثر من ذلك فصبر "

[أخرجه البخاري] .

العضو الرابع :-

كما صبر عليه الصلاة والسلام علي موت أحبابه وصبر علي وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها وقد قدر الله موت أبنائه وقد قدر الله موت أبنائه الذكور جميعا في حياته ولم يبق بعده من بناته إلا فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

القاضي :-

وللصبر مقاصد سلوكية لها مواقع وأحداث فعلية حدثنا عنها الحبيب محمد ﷺ قد تستعرض للمعرفة وللامتثال لها وبها في الحياة وها أنتم تذكرونها :

العضو الأول :-

روي عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلي رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع علي رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه فما يعيده ذلك عن دينه والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلي حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب علي غنمه ولكنكم تستعجلون " [رواه البخاري] .

العضو الثاني :-

قد يخاف البعض من مخالطة الناس من أجل متاعبهم فيغلق عليه بابه أو يبسط طريقه في حدوده دون المعاناه لغيره وعند ذلك يقول الحبيب عليه الصلاة والسلام : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر علي أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علي أذاهم " [رواه البخاري] .

العضو الثالث :-

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال : " ما لك يا أم السائب أو أم المسيب تزرفين ؟ "

قالت : الحُمّى لا بارك الله فيها .

فقال : " لا تسبي الحمي فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد " (وهذا لتعلم الصبر علي والمرض) . [والحديث رواه مسلم] .

العضو الرابع :-

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها سألت رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الطاعون فأخبرها فبر الله : " أنه كان عذاباً يبعثه الله علي ما يشاء فجعله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر شهيد " [رواه البخاري] .

وكذلك روي عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول :

" ما يصيب المؤمن من ولا نصيب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كَفَرَ به من سيئاته " . [رواه مسلم] .

العالم :

أتعلمون عن ما روي عن أنس بن مالك قال : مر النبي ﷺ بإمرآة تبكي عند قَبْرٍ فقال : " اتق الله واصبري " ، قالت إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي

ولم تعرفه فقيل لها إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجده عنده بوابيل فقالت لم أعرفك قال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولي " . [رواه الشيخان] .

ولمناظرة ذلك يتبين لنا أن الصبر يجب أن يكون مغروساً في أغوار كل نفس وله أقسام ذكرها الإمام بن القيم ولكن ذكرها في موضعها .

العضو الأول :-

نعم فقد قسم الإمام ابن القيم رحمة الله عدة تقسيمات للصبر وذلك :-

الأول : البدني الاختياري كتعاطي الأعمال الشاقة علي البدن اختياراً .

والثاني : التأثير البدني الاضطراري كالصبر علي ألم الضرب والمرض والبرد والحر.

والثالث : النفساني الاختياري كصبر النفس علي فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً.

والرابع : النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قسراً إذا حيل بينها وبينه.

العضو الثاني :-

ويقسم الصبر أيضا إلي ثلاث أقسام :-

- صبر علي الأوامر والطاعات حتى يؤديها .
- صبر علي المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها .
- صبر علي الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها .

العالم :-

والخلاصة علي ما سبق أن علي المسلم أن يتحلى بالصبر والاحتساب إلي الله تعالى في كل ما يحدث له من خير أو شر ويؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره فإن كان خيراً يحمد الله فيكون له عند الله خيراً .

وأن كان شراً يحمد الله عليه فيكون له عند الله خيراً .

فالصبر يكسب المسلم الدنيا والآخرة معاً وبدون الصبر الإنسان يجزع ويعترض علي حكم الله وقدره فيكون في ذلك هلاك للمسلم في الدنيا والآخرة.